إليك

أختي المسلمة

أبو الحسن بن محمد الفقيه

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد ألاَّ إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشـــهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذ رسالة جامعة اشتملت على آداب نفيسة تهـــمُّ الأخـــت المسلمة في حياتها اليومية في سائر علاقاتها وهي تعالج آداب المسلمة مع ربِّها ونبيِّها ومع المجتمع والأسرة ومـــع نفســـها وفي عشـــرتها الزوجية في بيتها.

أدب العبودية

ذلك الأدب الجميل الذي لأجله خلق الله العبـــاد وبـــه رفـــع أقدارهم وأعلى منازلهم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ .

وهو حلية من تسربلها زانته، ومن تجمَّل بها جمَّلته، ومن تـــدثَّر بها وقَتْهُ وسترته ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

فكيف تتأدَّب الأخت المسلمة بهذا الأدب الجميل؟ وكيف تجني منه ثماره اليانعة وتهتدي بأنواره الساطعة؟

مفهوم العبادة

هي كلٌّ ما يُحِبُّه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنـــة، وهي تشمل إذن كلَّ ما شرعه الله وارتضاه لعباده مـــن الفـــرائض والواجبات والمندوبات المستحبات ﴿قُـــلْ إِنَّ صَـــلَاتِي وَنُسُـــكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِـــرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

تلك هي العبودية الحقة .. تترامى في كلِّ عملٍ صالح، وتصدق على كلِّ قربة يتقرَّب بها المؤمن إلى ربِّه، يريد بها وجهه ورضاه.

فالمسلمة التي تُسبغ الوضوء وتصلِّي في خشوع بنيةٍ وإخـــلاصٍ تكون محقِّقة للعبادة بذاك الوضوء وتلك الصلاة.

وكذلك التي تتجمَّل لزوجها وتجتهد في ذلك أيما اجتهاد لتنال رضاه، وتسكن نفسه وتهدئ بأسه، تكون بنية طاعتها لزوجهـــا في الله مُحققَة للعبادة .. ولربما يكون عملها ذلك دالاًّ علـــى عُمـــق فقهها بمفهوم العبادة الشامل، خلافًا لتلك التي دحرت زوجهـــا في الفراش مخلِّفة وراءها وابلاً من الشتائم المجلجلة ثم باتت في المحـــراب تقوم الليل .. ولا تدري المسكينة أنَّ الملائكة قد باتت تلعنها حـــتى تُصبح!

ليس الغرض هنا سرد كلِّ مفردات العبادة في الحياة، وإنمـــا في المثالين السابقين ما يدلُّ على أنَّ أصل العبادة هو التماس مرضاة الله سبحانه كما يحبُّ هو سبحانه؛ فإنما النفوس مِلكه، وهو وحده من يأمرها .. ولذلك فإنَّ العبادة لا تستقيم إلاَّ بشرطين اثنين هما:

الإخلاص:

وهو إفراد الله سبحانه بالقصد والطاعة، قال رســـول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى أنا اغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عمـــلاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**».

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُــوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

قال الفضيل: أي أخلصه وأصوبه.

فالإخلاص إذن شرط للتوفيق إلى العمل الحسن الـــذي هـــو موضوع الامتحان في الدنيا، ولا يكون الإخلاص إلاَّ بتجريد النيـــة والقصد وجعلهما لله سبحانه، فتكون المسلمة بإخلاصها شـــديدة الحرص من كشف أعمالها، حتى ترتسم علامات الخير والعبوديـــة على وجهها، فإذا البهاء والنضرة والملاحة والمهابة والحلاوة تتفتَّـــق منه كلَّ حينٍ وتسطع مُخبِرةً من حولها بشيءٍ لا يستطيعون دفعه .. وذاك الشيء هو فيض الإيمان والإخلاص على الوجوه..

فأين من تُخلِص؟!

الاتباع:

وهو اقتفاء أثر الرسول ﷺ في عباداته ومتابعته في ذلك؛ فـــإنَّ الله لا يُعبَد إلى بما شرع، كما قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**» وهذا يتطلَّب فقهًا بالدين وتعلُّمًا للفـــرائض والسُنن والأحكام الشرعية، وخير العابدات من تفقَـــه الأحكـــام

وتعمل بها بإخلاص.

قال ﷺ: «**من يُرِد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

العقيدة أولاً

العقيدة الصحيحة هي أساس التصور الصحيح للوجود، وهـــي أساس الثبات على الحقِّ، وهي ما يدفع الأخت المسلمة إلى التعامل مع كلِّ حقائق الحياة ومفرداتها على الوجه الصـــحيح الـــذي بـــه يستقيم العيش ويطيب!

ولذا فقد كان تعلُّم العقيدة وفهم مضامينها الثمينة هو أول ما يجب على الأخت المسلمة معرفته والاجتهاد فيه.

معرفة أصول الإيمان

أختي المسلمة..

إنَّ معرفة أصول الإيمان على الوجه الصحيح من الواجبات التي لا ينبغي التشاغل عنها لكونها طريق معرفة الله ســبحانه ومعرفــة شرعه واجتناب ما نهى عنه من الشرك وقوادح العقيدة..

وأصول الإيمان ستة وهي:

الإيمان بالله سبحانه:

ويشمل الإيمان بألوهية الله سبحانه لهذا الكون وربوبيته وأسمائه وصفاته فالإيمان بالربوبية يُعرِّف الأخت المؤمنة بــأنَّ الله ســـبحانه وحده المالك لهذا الكون لكونه هو الذي خلقه وأوجده من عـــدم، وأنه وحده المتصرِّف في شؤونه إحياء وإماتة، وأنه لا شريك له في

ذلك .. قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾.

وأما الإيمان بالألوهية:

فيُعلِّم الأخت المسلمة أنَّ الله وحده الحاكم لهذا الكون المدبِّر له، الذي له الأمرُ وحده، وله النهي وحده، وهو يحكم لا مُعقِّب لِحُكمه، وهو المعبود وحده فلا أحد غيره يستحق العبادة، لأنَّ «الإله» بمعنى مألوه كـ«غِراس» بمعنى مغروس، وكتاب بمعنى مكتوب، ومعنى «مألوه» أي المعبود بحقٍّ.

قال تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾.

وأما الإيمان بأسماء الله وصفاته:

فيُدِلُّ الأخت المؤمنة على معرفة الله سبحانه وعلى العلم بصفاته الجليلة الجميلة وأسمائه الحسنة الفضيلة، وما تدلُّ عليه أسماؤه وصفاته من الكمال والجلال، فهو سبحانه «الرحمن الرحيم» والرحمة صفته، وهو «الودود» والود صفته، وهو «التواب» وقبول التوبة صفته، وهو «العلي» والعلو صفته .. وإذا تدبَّرت المسلمة هذه الصفات

وتأمَّلت في معانيها؛ تبينت لها عظمة الله سبحانه، ولاح لها جلالــه وكبرياؤه ورحمته وألوهيته لهذا الكون، ففاضت عليها معرفة هــذه الأصول في كلِّ عباداتها إخلاصًا لله ومحبة، وطمعًــا ورغبــةً وذُلاًّ وتعظيمًا وإخباتًا .. ولذلك كــان رســول الله ﷺ يقــول: «**إني أَعلَمكم بالله وأخشاكم له**».

ويقول سبحانه ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾.

الإيمان بالملائكة:

ويقتضي الإيمان بهم جميعًا، وتسمية مــن سَــمَّى الله منــهم كجبريل وإسرافيل وميكائيل، وأنَّ منهم الحفظة الموكَّلون بحفظ ابن آدم، ومنهم حَمَلة العرش، ومنهم الموكَّلون بالقبر، ومنهم الموكَّلون بإحصاء أعمال الإنسان .. وهم عباد مكرمون لا يعصون الله مــا أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

الإيمان بالرسل:

وهم عبادٌ أكرمهم الله بالرسالة واصطفاهم على خلقه لِحكمة هو يعلمها، وفضَّل بعضهم على بعضٍ؛ فمنهم من سَمَّى ومنهم من لم يُسَمِّ كما قال تعالى: ﴿**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِــنْ قَبْــلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾..

وأولهم آدم. ومنهم نوح وإبراهيم وإسماعيل ويوسف وموســى وعيسى وأيوب وخاتمهم محمد ﷺ.

الإيمان باليوم الآخر:

ويشمل الإيمان بالبرزخ، وهو القبر، وبعذابه ونعيمه، وما يحصل فيه من أحوال وسؤال، وكذلك الإيمان باليوم الآخر يوم الدين وما يشمل عليه من العرض والحساب والميزان ونشر الصحف والمـــرور على الصراط والجنة والنار.

الإيمان بالقدر خيره وشره:

وهو الإيمان بتقدير الله لأمور خَلقه في الأزل، وهذا التقـــدير ناشئٌ عن عِلمه وحِكمته وخِبرته بِخَلقه، وعلى المســـلم التســـليم بذلك دون ترك العمل وطرق الأسباب، فعقيدة القـــدر تقتضـــي العمل والمجاهدة مع الرضا المطلق بكلِّ ما يحصل للإنسان من خير أو شر.

أدب الطالبة

حينما تهتمُّ الأخت المسلمة بطلب العلم وتحصيله فهي بـــذلك تكون ومضة أمل يُداعب قلب الأمَّة المتطلِّع للرفعة والسمو، في زمنٍ لا يرفع فيه ذو الجهل رأسه!

أختي المسلمة:

وكما أنَّ طلب العلم هدف نبيل فإنَّ آدابه من الشروط الـــتي تُصيِّره أنبل وأجمل .. فكيف هو ذاك الأدب؟

الإخلاص:

ومهما كان نوع العلم الذي تطمع الأخت المسلمة لنيله فـــإنَّ

الإخلاص فيه شرط لنَيل الأجر عليه، وشرط لبركته وزكاته ونفعه، وشرط للنجاة من مغبة الرياء وحسراته يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ: «**من تعلَّم علمًا مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا: لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[(١)] .

وعن جُندب بن عبد الله رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**من سَمِعَ سَمِعِ الله به، ومن يرائي يرائي الله به**»[(٢)] .

وهذا كما يشمل العلم الشرعي يدخل فيه أيضًا كلُّ علمٍ نافع سواء كان من العلوم البحتة أو غيرها.

فاحذري أختي المسلمة من أن يتسلَّل إلى قلبك شوب الريـــاء، وأن يغرَّك التباهي والكبرياء، فقد قال ﷺ: «**ألا أخبركم بما هـــو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**»

قال: فقلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «**الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل فيُصلِّي فيُزيِّن صـــلاته لِما يرى من نظر الرجل**»[(٣)] .

الحرص على العلم الأنفع:

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد وابن ماجة.

وهو ما يدفع الأخت المسلمة إلى فقه الأولويـــات في طلـــب العلوم، فإن كانت الأخت المسلمة شغوفة بطلب العلم فلا ينبغي لها تقديم العلم المباح على المستحب، ولا المستحب على الواجب.

أختي المسلمة:

اعلمي أنَّ إسلامك يُوجب عليك العلم بأحكامه التي لا يصحُّ إيمانك إلاَّ بها، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضـــة على كل مسلم**»(١) .

قال السخاوي: وقد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحـــديث «**ومُسلمة**»، وليس لها ذِكر في شيءٍ من طُرقه، وإن كان معناهـــا صحيحًا.

ويقول ابن حزم رحمه الله:

ويجب عليهن - أي النساء - **النفـــار للتفقُّـــه في الـــدين، وكوجوبه على الرجال، وفُرض عليهنَّ كلهَّنَّ معرفـــة أحكـــام الطهارة والصلاة والصيام، وما يحل مـــن المآكـــل والمشـــارب والملابس كالرجال ولا فرق، وأن يعلمن الأقوال والأعمال، إما بأنفسهنَّ وإما بالإباحة لهنَّ لقاء من يُعلِّمهن، وفرضٌ على الإمام أن يأخذ الناس بذلك**(٢).

ففي هذه النصوص ما يدلُّ على وجوب فقه المؤمنة بـــدين الله

(١) رواه مسلم.
(٢) الإحكام (٤١٣/١).

سبحانه بما يؤهلها إلى عبوديته على الوجه الذي شرعه وارتضاه، وأنَّ هذا الفقه مقدَّم على كلِّ علم مهما كان شأنه، ولا بأس لِمن فقهت في دينها ما يجب عليها فقهه أن تستزيد من العلوم النافعة في أيِّ مجالٍ كان ما دامت تقصد بذلك وجه الله سبحانه.

الجد والاجتهاد:

وفيما يتعلَّق بالأخت الطالبة فلا بدَّ لها من الجدِّ والاجتهاد ورسم الأهداف ومحاسبة النفس والإحساس بالمسؤولية العلمية حتى تُعطي شجرة العلم أُكلُها.

فطلب العلم في المدارس يُشعِر الأخت المسلمة بزيادة المسؤولية على عاتقها، فكلُّ الأسرة تترقَّب نجاحها يومًا بعد يومٍ وشهرًا بعد شهرٍ وسنةً بعد سنة .. فهي أمل منشود يتنامى كلما اجتاز عقبة من عقبات الدراسة، لذا فعليها أن تكون عند حُسن ظنِّ الآباء، وأن تحفظ دروسها أولاً بأول، وأن ترسم في كلِّ يوم مسؤوليات لا بدَّ من إنجازها ولا يمكن بأيِّ حال تأخيرها. وأن تنظِّم وقتها وفق جدولٍ يوميٍّ ثابت، تُحدِّد فيه ساعات نومها باعتدال، وساعات الحفظ والمراجعة والمطالعة باتزانٍ وحكمةٍ بما يتوافق مع تخصُّصها .. وأن تعلم جيدًا أنها تدرس ولها من دراستها هدف معلوم، هي عازمةٌ على تحقيقه مهما كلَّف الثمن.

الخُلق الحسن:

فالطالبة أولى الناس بالتحلِّي بالخُلُق الرفيع، الذي يتماشى مع رُوح إسلامها ومع علوِّ همتها، وهذا يوجب عليها أن تجتنب كلَّ

مواطن الشبهة، وكلّ أسباب الشهوة، وأن تقطع دابر الرفقة السيئة، وأن تنفر منها كما تنفر من السباع الوحشية.

قال رسول الله ﷺ: «**المرء على دين خليله؛ فلينظر أحـــدكم من يُخالل**».

أدب طاعة الوالدين

لا تكتمل العبودية إلاَّ بالطاعة المطلقة للوالدين في المعـــروف؛ فهما باب الجنة وطريقها، والجهاد فيهما أعظم الجهاد وأوفره أجرًا كما روى البخاري في صحيحه: «**أنَّ رجلا جـــاء إلى الـــنبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال أحيٌّ والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهمـــا فجاهد**»[1] .

وقال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّـــاهُ وَبِالْوَالِـــدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ .

قال الشوكاني رحمه الله: «وفي جعل الإحسان إلى الأبوين قرينًا لتوحيد الله وعبادته من الإعلان بتأكيد حقهما والعناية بشأهما ما لا يخفى»[2] .

وقال ﷺ: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما**

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) فتح القدير (٣/٢١٨).

فلم يدخل الجنة»[١] .

ومن آكد الآداب التي ينبغي الحرص عليها مع الوالدين.

أولاً- أدب الطاعة والإحسان:

وهو أدب واجب بالإجماع، وفيه من معاني السعادة الأسـرية واستقامتها ما لا يخفى، كما أنه باب من من أبواب الجنة.

فعن معاوية بن جاهمة السلمي أنَّ جاهمة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت الغزو وجئت أستشيرك.

فقال: «**هل لك من أم؟**».

قال: نعم.

قال: «**الزمها؛ فإن الجنة عند رجليها**»[٢] .

وقال ﷺ: «**رضا الربِّ من رضا الوالد، وسخط الرب من سخط الوالد**».

وحمل رجل أمَّه على رقبته وطاف بها حول الكعبة، فالتفت وهو يطوف فرأى ابن عمر فقال:

أتراني جازيتها؟ قال: «ولا بطلقة واحدة من طلقاتها، ولكن قد أحسنت، والله يُثيبك على القليل كثيرًا».

ومن الإحسان إلى الأبوين:

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أحمد والنسائي.

مساعدة الأم في أعمال البيت، ومساندتها في التربية وأعبائهـــا وتلبية حاجتها وعدم الخروج إلاَّ بإذنها، وكذلك خدمـــة الأب في أموره وطاعة أوامره، وجلب الراحة له بطيب الكلام وحُسن الطلَّة والاستقبال، وحفظه في غيبه وحضوره واجتناب كلّ شبهة تؤذيه.

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى نوع من الإحسان قلَّ من الأخوات من تتنبّه إليه، ألا وهو الإحسان إلى الأبوين بالحياء.

فالأخت المسلمة التي يغلب عليها الحياء تكون منبـــع بهجـــة للأبوين، وتحسن إليهما بحيائها ما لا يمكن الإحسان إليهما بغـــيره، لأنهما يظلان في مأمن على عرضها وشرفهما.

وهذا النوع من الحياء يتمثَّل في اجتناب رفيقات السوء وقطـــع دابر العلاقة معهن .. وذلك يهدئ روع الأبوين فلا يقلقان.

وكذلك محاولة اجتناب الهاتف والردِّ عليه إلاَّ بإذنهما وطلبهما، وذلك يجعل من الأخت المسلمة مفخرة في البيت، فتزداد شرفًا عند الأبوين..

وكذلك عدم الخروج من البيت إلا لحاجة ماسة؛ فهـــو مِمَّـــا يُطمئِن الأبوين ويريحهما.

ومن هذا فإنَّ الإحسان تتعدَّد صوره بما لا يمكن إحصاؤه؛ فهو إحساسٌ يدور مع حاجة الوالدين إلى ذلك النوع من الإحسان بعينه بحسب المقام والحال، فقد لا يحتاج الأبوان إلى مساعدة مادية بقدر احتياجهما إلى احترام أمرهما، والإحساس بما يقلقهمـــا واجتنابـــه فتأملي!

ومن صور الإحسان أيضًا:

إعانة الأبوين بالإنفاق عليهما؛ وقد سُئل شيخ الإسـلام ابـن تيمية رحمه الله عن حكم نفقة الرجل الموسر على أبويه فقال:

على الولد الموسر أن ينفق على أبويه وزوجة أبيـه وعلـى إخوته الصغار، وإن لم يفعل ذلك كان عاقًّا لأبيه، قاطعًا لرحمـه، مستحقًّا لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ لي مالاً وولـدًا، وإن أبي يحتاج إلى مالي، فقال: «**أنت ومالك لأبيك**»(١) .

ومن صور الإحسان أيضًا:

كفُّ الأذى عنهما، وترك كلِّ ما من شـأنه إغضـابهما؛ لأنَّ عقوقهما باب عذاب معجَّل جدًّا كما قال رسول الله ﷺ: «**بابان معجلان عقوبتهما: البغي والعقوق**».

ومن صور أيضًا الدعاء لهما بالخير في حياتهما ومماتهما:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

قال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا مـن ثـلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢) .

---

(١) رواه ابن ماجة.

(٢) رواه مسلم.

أدب التربية

أختي المسلمة..

تذكَّري أنَّ أدب التربية من الأعمال العظيمة التي تعود عليـــك وعلى أبنائك وعلى الأمَّة جميعًا بالخير والفضل في الدنيا والآخـــرة؛ فالتربية الصالحة هي أساس اكتساب الولد الصالح الذي يعمُّ خـــيره من حوله من الأحياء والأموات؛ فهو عُدَّة على الحياة، وذُخرٌ بعـــد الممات .. قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

فكيف تُربِّي المرأة المسلمة أبناءها؟

أن تهيئ نفسها للتربية: فما لم تمتلك الأم هيبة الأمومة المربيـــة، وما لم يكن لها من العزيمة ووضوح صور التربية الســـليمة؛ فلـــن تستطيع تحصيل الثمرة المرجوَّة من تربيتها، فلا بدَّ من الوقوف على أساس التربية الراسخ وهو الإسلام!

ولا بدَّ من مراعاة التدرُّج في التكاليف الشرعية التي حثَّ عليها الإسلام، سواء من العبادات أو الأخلاق والمعاملات.

ولا بدَّ لها من الإحساس بالمسؤولية التربوية على عاتقها، وهو ما يُؤهِّلها إلى الحرص على أبنائها، لأنها مســـئولة أمـــام الله عـــن ضياعهم، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) رواه مسلم.

«كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيتـــه، والأمـــير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيـــت زوجهـــا وولده، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته»(١).

التربية النفسية:

وينبغي مراعاتها قبل ولادة الطفل نفسه؛ إذ لا شكَّ أنَّ المـــرأة الحامل يتأثَّر طفلها بكل انفعالاتها اليومية، وكلَّما كانت الأم الحامل في حالة نفسية وصحية جيدة انطبع ذلك على صـــحَّة مولودهـــا، وهذا يُقرِّره الأطبَّاء في سجلاَّتهم، ولذا فـــإنَّ أول بـــوادر التربيـــة الناجحة هي الاعتناء بالمولود في حالة الحمل.

وكذلك ينبغي الحرص عليه طيلة الســـنوات الخمـــس الأولى، وتعميق مشاعر الحنان والمودَّة فيه، وغرس الأمـــان والســـكينة في نفسه، وهذا يتمثَّل في الاعتناء بظاهره بالرضاع الطبيعي من لـــبن الأم، وبالنظافة وغيرها مما تستلزمه!

وكذلك الاعتناء بنفسية الطفل وضمِّه ومداعبته وعدم ضـــربه ونهره وإيذائه وتخويفه وإظهار صور الشفقة والرحمة به، فكلُّ هـــذه الوسائل له في أعماقه قاعدة صحة نفسية تنطلق به إلى الحياة بأمان!

التربية الإيمانية:

وهي تتمثَّل في غَرس قِيَم العقيدة في نفس الطفل وتعريفه بـــالله سبحانه وبالرسول ﷺ وبالإسلام وصفاته وسماحته وقوته، ونهـــج

(١) رواه البخاري ومسلم.

الوسائل النافعة لأجل تحصيل ذلك كالقصة القصيرة المثيرة، مثــل قصص الأنبياء للأطفال، وقصص القرآن الكريم، وقصص الصحابة وإسلامهم وحروبهم، وكذلك من خلال التعليم المباشــر بــالحفظ والمطالعة والمراجعة ومن خلال الوسائل السمعية والمرئية .. ومــن شأن العقيدة أن تغرس في نفس الطفل تعظيم الله سبحانه وتعظــيم أمره والرغبة في الدخول إلى الجنة والخوف من النار.

التربية على العبادة:

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه عنه قال رســول الله ﷺ:

«مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضــربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»(١) .

وفي هذا الحديث دليلٌ على تعليم الأبناء أمور العبادة، وأهمهــا الصلاة، وأنَّ ذلك يتأكد عند بلوغهم سنَّ السابعة، ولا شــكَّ أنَّ للقدوة والتشجيع والترغيب وتنويع هذه الوسائل دور في تثبيــت الطفل على حبِّ العبادة حتى تصير جزءًا من برنامجه اليومي، وحقًّا لا يمكن أن يفرط فيه.

التربية على الأخلاق والآداب:

وتكمن في بثِّ محاسن الأخلاق ومعاليها في نفوس الأطفال عن طريق القدوة الحسنة والتدريس، وعن طريق القصة المؤثرة، وفي كلِّ

---

(١) رواه أبو داود.

مناسبة تستدعي ذلك.

ولا شكَّ أنَّ تعويد الأطفال على الآداب في الصغر يُوجب أن تكون تلك الآداب طبعًا لهم في سائر حياتهم.

وتذكري أختي المسلمة:

إنَّ الأبناء أمانةٌ في عنقك تُسألين عنها يوم القيامة، وإنَّ إهمالهم وعدم محاسبتهم وتوجيههم هو غشٌّ لهم كما قال ﷺ: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلاَّ حرَّم الله عليه الجنة**»[1].

أدب الصداقة والأخوة

أدب الصداقة والأخوة أدبٌ نفيس يُنبَى عن علوِّ همَّةٍ وتوقُّد طموح، وهذا الأدب الجميل قد دعا إليه النبي ﷺ بجلاءٍ ووضوح، فقال ﷺ: «**المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يُخالل**».

ففي قوله ﷺ: «فلينظر» توجيه إلى التأمُّل في حقيقة الصداقة وطبيعة أصحابها.

والأخت المسلمة جديرةٌ بأن تلتفت إلى هذا التوجيه و"تنظر" بعين رأسها وعقلها معًا فيمن تُصاحب، تنظر في دينهنَّ، وفي سلوكهنَّ وآدابهنَّ وهممهنَّ؛ فلا تصحب منهنَّ إلاَّ ما دلَّ على صُحبته الشرع والعقل السليم.

---

(١) رواه البخاري.

اصْحَبْ خِيَـــارَ النَّـــاس أَيـــنَ لَقِيـــتُهُم
خَيْــــرُ الصَّـــحَابَةِ مَـــن يَكُـــونُ ظَرِيفَـــا
وَالنَّـــــاسُ مِثْـــــلُ دَرَاهِـــــمَ مَيَّزتَهَـــــا
فَرَأيـــــتَ مِنـــــهَا فِضَّـــــةً وَزُيُوفَـــــا

وتذكَّري أختي المسلمة أنَّ الخلَّة الفاسدة الـــتي تلتقـــي علـــى الملذَّات والشهوات والإطناب في المباحات لا شكَّ مجلبة للهم والغم والنكد والعذاب ولو بعد حين، كما أخبر بذلك رســـول الله ﷺ فقال: «**مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كمثل صـــاحب المسك، وكير الحداد، لا يعدكم من صاحب المســـك، إمـــا أن تشتريه، أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك، أو تجـــد منه ريحًا خبيثة**»(١).

قال طاووس: «ما اجتمع رجلان على غير ذات الله إلاَّ تفرَّقـــا عن تقالٍ».

وقال ابن تيمية رحمه الله:

فالمخاللة إذا كانت على غير مصلحة الاثنين كانت عاقبتـــها عداوة، وإنما تكون على مصلحتها إذا كانت في ذات الله، فكلٌّ منهما وإن بذل للآخر إعانة على ما يطلبه واستعان به بإذنه فيما يطلبه، فهذا التراضي لا اعتبار له، بل يعود تباغضًـــا وتعاديًـــا

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وتلاعنًا، وكل منهما يقول للآخر: "لولا أنت مـــا فعلـــت أنـــا وحدي هذا، فهلاكي كان مني ومنك".

شَـــــيئَانِ يَنقَشِـــــعَانِ أَوَّلَ وَهْلَـــــةٍ
ظِـــلُّ الشَّـــبابِ وَخِلَّـــةُ الأَشْـــرَارِ

ولا تزال حوادث الأيام ووقائع الأزمان تحكي فشل الصداقات الزائفة المبنيَّة على الاجتماعات المحرَّمة وعلى غير طاعة الله سبحانه.

أختي المسلمة:

فاحذري صويحبات الرذيلة، اللـــوائي يـــدعونك للمعاكســـات ويستجلبنَّك للمغالطات ويوقعنك في المحرَّمات؛ فإنهنَّ لَمَّا عجزن عـــن سلوك طريق الاستقامة نفث فيهنَّ الشيطان سمومه؛ فصـــرن لفـــرط عجزهنَّ دعاة رذيلة، إن لم يكن ذلك بكلامهنَّ فبسلوكهنَّ وحالهنَّ.

ولك في رفيقات الخير وأخوات الفضيلة غنيةً وكفايـــة؛ فهـــنَّ عُدَّةً في الضرَّاء، وعونٌ على البلاء.

كما قال ﷺ: «**مثل الجليس الصالح كمثـــل العطـــار؛ إن لم يعطك من عطره، أصابك من ريحه**»(١).

اســـتَكْثِرَنَّ مِـــنَ الإخْـــوَانِ إنَّهُـــم
خَيْـــرٌ لِكَـــانِزِهِمْ مِـــنَ الـــذَّهَبِ
كَـــمْ مِـــنْ أَخٍ لَـــوْ نَابَتْـــكَ نَائِبَـــةٌ
وَجَدتَّـــهُ خَيْـــرًا مِـــنْ أَخِـــي النَّسَـــبِ

---

(١) رواه أبو داود.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

عليكم بالإخوان؛ فإنهم عُدَّةٌ في الدنيا والآخرة .. ألا تسمع إلى قول أهل النار: «فمالنا من شافعين ولا صديق حميم».

أختي المسلمة:

وتذكَّري أنَّ أدب اختيار الخلَّة الطيبة يستلزم بعد اكتسابه أدب الحفاظ على هذه الصحبة، بالنصح لها والإخلاص، والتأدُّب معها بأدب الحديث والزيارة والخدمة قدر المستطاع والحبّ في الله وحده، والتفقُّد والدعاء.

فإنَّ الزيارة والحبَّ في الله من أجلِّ العبادات وأغلاها، وكلُّها توجب محبة الله وأعظِم بها من نعمة.

قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فِيَّ، والمتجالسين فِيَّ والمتزاورين فِيَّ**»[1] .

ولو لم يكن من مصاحبة الخيرات إلاَّ تحقيق هذه النعمة العظيمة التي هي مفتاح الخير كلِّه لكان ذلك داعيًا ومُحفِّزًا لكلِّ حريصة على مصلحتها في الدنيا والآخرة أن تتَّخذ من الصالحات أخوات لها، وأن تعرض عن كلِّ رفقةٍ سيئة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون**

---

(١) رواه مالك.

في جلالي، اليوم أظلُّهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلِّي»[(١)] .

أختي المسلمة:

تذكَّري أنك ركن السعادة الأعظم .. لا يمكن للسعادة أن تتمَّ في الحياة إلاَّ بك؛ فأنت رُكنها وأساسها.

وفي هذا من التشريف لك والعناية بقيمتك في الإسلام مـــا لا يخفى .. لكنك لن تكوني صانعة السعادة إلاَّ بشرطٍ واجبٍ مُحتَّم، هو صلاحك وطهارتك وخُلقك!

فالزوجة الصالحة تكتمل السعادة الزوجية بصلاحها، لا بمجرَّد كونها زوجة.

فعن سعد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«أربع من السعادة: المرأة الصالحة والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»[(٢)] .

فخُلق الصلاح في المرأة هو بوَّابة الســعادة وســبيل الطاعــة والعبادة، ينتشر منها انتشار الأنوار، هو الشمس الساطعة، فيــنير أركان الديار، ويلألئ زوايا البيوت؛ فإذا هي ترغد بوابل الخــيرات الوفيرة وطمأنينة الحياة الطيبة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان.

مِــنْ خَــيرِ مَــا يتَّخِــذِ الإنْسَــانُ ي
دُنْيَــــاهُ كَيمَــــا يَسْــــتَقِيمُ دِينَــــهُ
قَلـــبٌ شَــكُورٌ وَلِسَــــانٌ ذَاكِــــرٌ
وَزَوجَــــــةٌ صَــــــالِحَةٌ تُعِينُــــــهُ

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا متاع، وليس من متــاع الــدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة**»(١).

فما هي أهم الآداب التي ينبغي للزوجة مراعاتها مع زوجها:

طاعته الصادقة في المعروف:

فأدب الطاعة هو ما يميز الخيرات من النساء، فقد قيل لرســول الله ﷺ: أيُّ النساء خير؟

قال: «**التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمــر، ولا تخالفــه في نفسها ولا مالها إلا بإذنه**»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبد آبقٌ من مواليه حتى يرجع إليهم، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع**»(٣).

بل إنَّ أدب الطاعة للزوج في المعروف من أسباب دخول الجنة

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي.
(٣) رواه الحاكم.

من كلِّ أبوابها، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجهـــا، وأطاعــت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»[(١)] .

القناعة وحسن العشرة:

فالغالب في النساء هو قلَّة القناعة وكُفران العشرة كما أخـــبر بذلك النبي ﷺ فقال: «**أُريت النار، فإذا أكثر أهلـــها النســـاء، يكفرن**» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشـــير، ويكفــرن الإحسان ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شـــيئًا قالت ما رأيتُ منك خيرًا قط**» [(٢)] .

والزوجة القنوع هي زهرة البيت وإشعاعه، وخير رزق الزوج ومتاعه، تسلي زوجها في عسره، وتبهجه في يسره، فإذا افتقر أغنته، وإذا اغتنى سرته؛ فهي نعمة على كلِّ حال.

يَا رُبَّ شَـــاكِرَةٍ لِلـــزَّوْجِ فِـــي اليُسْـــرِ
وَفِي الـــبَلاءِ تُسَـــلِّي الـــزَّوْجَ بِالصَّـــبْرِ
تـــبُشُّ وَجْنَتُهَـــا فِـــي كُـــلِّ آونَـــةٍ
إذَا رَأَتْـــهُ تُـــنِيرُ البَيْـــتَ بِالبِشْـــرِ
فَزَوْجُهَـــا مَلِـــكٌ وَالشَّـــعبُ زَوْجَتُـــهُ
وَالبَيـــتُ مَمْلَكَـــةُ الأَفـــرَاحِ وَالخَيْـــرِ

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

وحُسن العشرة تشمل أيضًا حسن التبعل والاعتناء بحاجـــات الزوج المادية والمعنوية، فهو كما يحتاج إلى اللقمة الطيبة الهنية، تمس حاجته إلى الود والإخلاص والصدق في الكلام والمقام، فلا يحـــلُّ الامتناع عن فراشه، ولا ينبغي الزهد في إمتاعه بـــالمظهر الحســـن الموجب للبهجة والسكينة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ : «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح** ».

وفي رواية: «**حتى ترجع**».

وهذا الحديث بَيِّن الدلالة على تحريم هجران فراش الـــزوج أو الامتناع عن تلبية دعوته لِما فيه من البلاء المتوقـــع، لأنَّ امتنـــاع الزوجة لا يفوِّت على الزوج متعته فقط، وإنمـــا يُعرِّضـــه للفـــتن والوقوع في المحرَّمات وهو ما يهدِّد الأسرة كلَّها بالدمار.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**إذا الرجل دعا زوجته لحاجتـــه فلتأته وإن كانت على التنور**»[1].

ويعيب الزوجة ويشينها أن تكون بخيلة على زوجها بِحُســـن التبعُّل والعشرة، وأن تختزن في أعماقها عواطفها ورقتها وطيبتـــها لتفيض بها على الأباعد من جليساتها، وربما تفيض عليهم أيضًا من حُسن لباسها وزينتها وأدبها، بينما تتجاهل ذلك كلَّه مع زوجهـــا لتعيش معه حياةً جافةً من كلِّ معاني الزوجة الصالحة.

(١) رواه الترمذي.

أدب اللباس والحشمة

وهو من آكد الآداب التي ينبغي للأخت المسلمة الحرص عليها، لأنه شعار فضيلتها، وستار عرضها وشرفها، بــل ومهابــة أمتــها جمعاء!

وقضية «اللباس» من القضايا الساخنة التي تستوجب منك أختي المسلمة- اتخاذ موقف حاسم يقطع دابر الفتنة، ويُجنِّبــك الهــلاك والمحنة، فعقيدتك الصلبة وإيمانك الشامخ يأبيان عليك الانحــراف وراء سفاسف النظريات، كيف كان شكلها ومهما كان قائلها.

فأنت مسلمة .. مستسلمة لله سبحانه .. وراضــية مطمئنــة ومحبة لحكمه في تعظيمٍ وذُلٍّ وخضوع وود.. وهو وحده ســبحانه من يدلك على أدب اللباس، ويصف لك حدوده، ويُبيِّن لك مــا يجوز وما لا يجوز، وأين يجوز وأين لا يجــوز .. مــن تصــاميمه وأشكاله، ذلك لأنك رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا ومحمد نبيًّــا ورسولاً..

فكيف يكون أدب اللباس؟

أدب الحجاب

فوجوبه من المعلوم من الدين بالضرورة، فلو سئل كافر في بلاد الغرب عن حُكم الحجاب في الإسلام لظهر أنه يعلم بحكم وجوبه! فحكمه على أغلب الأخوات لا يخفى وكيف يخفى وهو واضح في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُــؤْمِنِينَ

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

لما كانت عادة العربيات التبذل، وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهنَّ وتشعُّب الفكر فيهنَّ؛ أمر الله رسوله ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن(١).

إذن فالحجاب هو أدبٌ واجبٌ في اللباس حين الخروج من البيت أو حين وجود المرأة المسلمة أمام الأجانب من الرجال.

والحجاب قد بيَّن الله أوصافه ونعوته، وأظهرها ربه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، وقد تتبعها العلماء، وهي ثمانية:

١- أن يكون الحجاب ساترًا لجميع بدن المرأة:

لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.**

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الجلباب: «**والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن**»(٢).

٢- ألاَّ يكون الحجاب نفسه زينة:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٤٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٤٣).

لأنَّ الغاية في الحجاب هو تحصيل الستر والعفاف، فإذا كـــان الحجاب زينة مثيرة فقد تعطلت الغاية منه، ولذلك أكَّد الله جـــل وعلا على ذلك فقال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

٣- أن يكون واسعًا غير ضيق: لأنَّ اللباس الضيق ينـــاقض الستر المقصود من الحجاب لذلك إذا لم يكن لباس المرأة المســلمة فضفاضًا فهو من التبرُّج المنهيِّ عنه.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة كانت مما أهداها دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما لك لم تلبس القبطية؟**».

قلت: يا رسول الله، كوستها امرأتي.

فقال لي رسول الله ﷺ : «**مُرْها فلتجعل تحتــها غلالــة؛ إني أخاف أن تصف حجم عظامها**».

٤- أن يكون صفيقًا لا يشف:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قـــال: قـــال رســـول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقــر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مـــائلات ممـــيلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[١] .

قال ابن عبد البرِّ رحمه الله:

(١) رواه مسلم.

أراد ﷺ من النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر؛ فهنَّ كاسيات بالاسم عاريات في الحقيقة.

٥- ألاَّ يكون مُبخَّرًا ولا مُطيَّبًا:

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت فمرَّت على قــوم ليجدوا من ريحها فهي زانية**»[(١)] .

٦- ألاَّ يُشبه لباس الرجال:

لقوله ﷺ: «**ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا مــن تشبه بالنساء من الرجال**»[(٢)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل»[(٣)] .

٧- ألاَّ يشبه لباس الكافرات:

فقد قال ﷺ: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»[(٤)] .

٨- ألاَّ يكون لباس شهرة:

لقوله ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثــوب**

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه أبو داود.

مذلَّة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارًا»[١] .

وتذكري أختي المسلمة أنَّ الحفاظ على هذه الشروط لا يُجنِّبك عقاب الله وعذابه فقط، وإنما يمكن من الحفـــاظ علـــى عرضـــك وشرفك أيضًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) رواه أبو داود.